## عرض كتاب

# المكون المعرفى ودوره فى توجيه الحضارات

### تأليف: الأستاذ الدكتور/ إبراهيم أبو محمد - مفتى أستراليا

### عرض: أ. أحمد على سليمان (*)

---

شهد العالم فى الفترة الأخيرة تقدمًا هائلا فى ثورة المعلومات والمواصلات والاتصالات، وتحول كوكبنا إلى قرية كونية، لا يكاد يقع الحدث فى مكان إلا وينتقل خبره فى لحظات إلى كل بقاع الأرض، مع التفاصيل لما جرى فى دقائق معدودة، وكان يفترض أن تُحْدِث هذه الثورة قربا فى المشاعر مثلما أحدثت قربا فى الزمان والمكان، غير أن الذى حدث عكس ذلك تماما، فثورة الاتصال قوبلت بثورة "انفصال".. انفصال بالذات فى اهتماماتها وحتى فى مشاعرها وأحاسيسها عن الآخرين، فلم يعد الشأن العام همًّا يتحمل الفرد بعض مسؤولياته، أو يحظى باهتمامه، أو حتى يفكر فيه.. ومع سيل المعلومات المختلفة تداولت مصطلحات جديدة وانتقلت بسرعة البرق إلى كل مكان فى العالم عبر فضائيات فى سماوات مفتوحة ومملوءة بأقمار صناعية مملوكة لأغلب الدول المتقدمة، ومن ثم سمع الناس عن أسماء ومصطلحات لم تكن متداولة من قبل مثل: "الشمال والجنوب"، "الجات"، "صندوق النقد"، "البنك الدولى"، "الدول المانحة"، "العولمة"، "صراع الحضارات"، وغير ذلك من الأسماء والمصطلحات..

ويأتى كتاب "المكون المعرفى ودوره فى توجيه الحضارات" للأستاذ الدكتور/ إبراهيم أبو محمد مفتى أستراليا، ورئيس مجلس إدارة المؤسسة الأسترالية للثقافة الإسلامية، ورئيس إذاعة القرآن الكريم – استراليا، لمناقشة هذه القضايا بدقة ومنهجية علمية، ويغوص من خلال كتابه فى خبايا العولمة ومكنوناتها، بأسلوب موضوعى، ليوضح أثر الثقافة والعقيدة والأيدولوجيات والمصالح فى الحوار والصراع، ثم يقدم

---

(*) المدير التنفيذى لرابطة الجامعات الإسلامية.

رؤية لعلاقة متزنة بين الشرق والغرب تقوم على أساس من الحوار المرتكز على الفهم المتبادل لطبيعة الطرف الآخر .. ولا شك أن الكاتب الذى تتلمذ على يد كبار العلماء فى الأزهر الشريف ومعايشته الطويلة للمرحوم الشيخ محمد الغزالى فترة طويلة، ومعايشته لهموم المسلمين فى استراليا منذ أكثر من عقد من الزمان، وحواراته المتعددة على الجانب الآخر، وخبرته الطويلة بالإعلام، قد أنتجت فكرا متميزا ورصينا فى فهم العلاقة بين الإسلام والآخر من خلال كتبه وأبحاثه، ومن ثم جاء الكتاب مليئا بالأفكار والتحليلات النافعة فى فهم العلاقة بين الحضارات.. فضلا عن الإرشادات العلاجية التى تسهم فى علاج القضايا الشائكة بين الإسلام والآخر..

هذا ويقع الكتاب فى ١٠٤ صفحة من القطع الكبير، وهو صادر مؤخرا عن مكتبة الكيلانى بالقاهرة، ويشتمل على مقدمة، وفصول ثلاثة وخاتمة، وجاء الفصل الأول تحت عنوان: المصطلحات بين المرسل والمتلقى، أما الفصل الثانى فيتناول: أثر المكون المعرفى على العلاقة بين الإنسان والكون، وأما الفصل الثالث فيتحدث عن: الآخر من هو، وما موقفنا منه..؟

ويقصد المؤلف بالمكون المعرفى: "مجموعة المعارف والخبرات التى يكتسبها الإنسان من مصادر متعددة، منها: المشاهدة والتجربة والأخبار المتواترة والتى تصب فى نهاية الأمر فى العقل لِيُكَوِّن تصورَه وحكمَه على شئ ما"

وفى الفصل الأول يشير المؤلف إلى أن المصطلحات ليست دائما بريئة، ولا تنشأ من فراغ، وإنما تحمل الخلفيات الثقافية والمكون المعرفى للبيئة التى نشأت فيها، محملة بطبيعة الصراعات والمصالح لتلك البيئة بشرا ومكانا، ومن ثم تجب عملية الحذر وأخذ الحيطة فى تداول وانتشار وشيوع تلك المصطلحات؛ لأن الأمر هنا لا يتعلق فقط بمصدر هذا المصطلح بقدر ما يتعلق بالهوية الفكرية للمتلقى لهذا المصطلح، محذرا من الثقافة الفاسدة التى تفعل بالعقول والأفكار ما يفعله الطعام المسموم بالجسم، ولذلك كانت

العافية الفكرية والثقافية للأمة لا تقل خطرا وأهمية عن العافية البدنية والجسدية لأبنائها ، كما أن التشوش وغياب النموذج خلال فترات الضعف الفكرى يعرض الهوية لتداخلات مضرة ، تسبب تميعا فى التصور وازدواجا فى السلوك للمجتمع الذى يشيع وينتشر فيه هذا المصطلح . ويقول المؤلف : وكان ضمن ما طرح من هذه المصطلحات مصطلح حوار الحضارات ، أو صراع الحضارت ، وهو مصطلح جديد بدأ انتشاره منذ ألقى صموؤيل "هنتنجتون" مستشار الإدارة الأمريكية ، محاضرة تحدث فيها عن صدام الحضارات ، واقترح خلالها على الإدارة الأمريكية أن تبدأ بكسر شوكة الحضارة الإسلامية المقاومة والمستعصية على الذوبان ، ثم تعرج بعدها على الحضارة الكونفشيوسية وهى الحضارة الصينية فتحطمها ، ثم تستدير إلى مصالحها بتفجير بؤر للصراع لتبقى مصانعها تدفع للجيوش والشعوب والأمم بمزيد من مخزون السلاح ، وراحت تلك الدوائر مدفوعة بخيالها الجامح فى مزيد من الربح ، وتحت سكرة الغرور بالقوة تروج لهذه المحاضرة وتقدمها على أنها أحدث النظريات الاستراتيجية فى إدارة الأزمات الأيديولوجية على مستوى كل الحضارات الرافضة لقيمها و نمطها ، لتنفرد بزمام الكرة الأرضية ، وتقرر مصير العالم وما يجب أن يكون عليه وفق رؤيتها ، وهكذا وقع العالم فى فوضى ، ظهرت فيها مفاهيم ومصطلحات جديدة ، فضفاضة المعنى ، تُفَصَّل بالمقاس دون تحديد أو تعريف لأى منها غير المزاج الشخصى للدول الكبرى . وأصبحنا نقرأ قوائم تتحدث عن محور الشر ، ورعاية الإرهاب ، والسلوك المعتدل أو المتطرف لبعض الدول ، ونظرية الفوضى الخلاقة ، وهى نظرية تختلط فيها كل الأوراق ، ويضرب فيها الكل فى الكل ، دون أن يحكمها قانون غير مصالح الدول الكبرى ، على ألا تخرج الضربات عن نطاق الجنوب الفقير البائس .ثم كانت العولمة بأبعادها المختلفة إحدى وسائل هذه الدوائر فى تحقيق الأهداف .

ويؤكد الباحث أن الإسلام كالشمس لا يستطيع أحد أن يخفيه أو يحجبه عن

الناس، وأن الإسلام يعيش بمكوناته الذاتية وسط كل تلك العواصف ولا يحتاج إلى دفاع؛ لأنه دين تكفل الله بحفظه وأن الغرب لم يستطع منذ الحروب الصليبية، وبداية عصر الاستعمار - رغم كل التفوق - أن يمحو الشرق من الوجود أو أن يكسر شوكة الإسلام، ربما سيطر على أنظمة واحتلَّ بلادا، وربما أن أدمى من الإسلام بعض الأطراف، ولكنه لا يمكن أبدا أن يمحو هذا الدين من الوجود، وأن سنة الله جرت في هذا الدين أنه لا ينتصر إلا من ضعف، ولا ينتشر إلا من قلة "بَدَأَ الإِسْلاَمُ غَرِيبًا وَسَيَعُودُ كَمَا بَدَأَ غَرِيبًا فَطُوبَى لِلْغُرَبَاءِ"، مشيرا أنه يجب أن نفرق بين الإسلام وبين المسلمين، فالإسلام شئ والمسلمون شئ آخر.

ويشدد الدكتور أبو محمد أنه يجب أن نفرق بين الغرب كشعوب وبين الغرب كمؤسسات للقرار، فالغرب كشعوب ليس لدينا معهم مشكلة، ولا يجب أن تكون، ومن ثم فيمكن تقسيم المجتمع الغربي إلى فئات ثلاث:

- **الأولى - فئة العامة من الناس**: وهؤلاء يستقون معلوماتهم عن الإسلام من خلال الإعلام، فهم ضحايا التدليس المتعمد والتشويه المدلس من ناحية، ثم هم ضحايا غيابنا نحن المسلمين في الشرق والغرب عن الحضور والتأثير إعلاميًّا وسياسيًّا واقتصاديًّا، وليس هناك ميدان واحد لنا فيه إسهام مؤثر تجاه تعديل الصورة وإنصاف الحقيقة وإنقاذ هؤلاء.
- **والثانية - فئة المثقفين والباحثين والعلماء**: وهؤلاء لا يكتفون بما يقدمه الإعلام الغربي عن الإسلام، بل يشكون فيه ويعرفون أن أغلب ما يقدم إنما يصدر عن رؤية كارهة ومغرضة؛ ولذلك فهو في نظرهم يفتقد الموضوعية والحياد، ولهذا فبعض هؤلاء يحرص على القراءة عن الإسلام، ويبحث عن الكتاب الإسلامي باللغة التي يجيدها من المصادر المضمونة والقريبة منه فلا يجده..!! وربما يحاول تعلم اللغة العربية حتى لا يقع ضحية الفكر المغشوش والثقافة المسمومة، التي تملأ الأسواق عن

الإسلام والمسلمين، مشيرا أن الإنسان الغربى لا زال لديه من رصيد الفطرة ما يمكنه من تقبل الحقيقة إذا عرضت عليه بذكاء، وقدمت له فى صورتها النقية، كما أن مساحة الحرية المدنية تجعلهم يدافعون عن الفكرة التى يؤمنون بها..

- **والثالثة - الغرب كمؤسسات للقرار:** وهؤلاء لهم أهدافهم وأطماعهم، ولهم أجندتهم الخاصة، ولهم أيضا رؤيتهم للإسلام والمسلمين، ولذلك فالمشكلة الحقيقية مع هؤلاء، لأنهم هم الذين يمثلون الغرب المستعمر المستغل.. الغرب صاحب مشروع السيطرة والتقسيم والعدوان على الآخرين.. الغرب صاحب منظومة الكذب التى تشوه الآخر وتحط من قدره، وتحاول إشاعة الخوف منه وتلصق به أبشع الاتهامات، ولا تكف عن الهجوم عليه، واستعداء الشعوب ضده، هذا هو غرب الصراع والصدام والمواجهة والبحث عن الفريسة دائما..

ويقول: فى استفتاء قامت به كل من جريدة "سيدنى مورننج هيرالد" (SydneyMorning Herald) بالتعاون مع إذاعة الـ : B.B.C البريطانية ما بين "نوفمبر ٢٠٠٦ إلى يناير ٢٠٠٧" على عدد من الناس بلغ ثمانية وعشرين ألف نسمة فى ٢٧ دولة من دول العالم حول أسباب الصراع بين الإسلام والغرب وقد نشرته جريدة (Sydney Morning Herald) فى عددها الصادر بتاريخ الاثنين ١٦ فبراير ٢٠٠٧م.

وقد وجدوا أن الغالبية تؤمن بأن المصالح السياسية والاقتصادية، وليس الاختلاف فى الدين ولا الاختلاف فى "التقاليد" هى الأسباب فى النزاع والعنف الدائر فى العالم حاليا، ثم كانت محصلة الاستفتاء ما يأتى:

- ٥٢٪ يُرجعون أسباب التوتر بين الإسلام والغرب إلى القوى السياسية والمصالح الاقتصادية.
- ٥٨٪ يُرجعون سبب التوتر إلى الأقلية المتشددة من الجانبين.

- ٢٩- ٪ الاختلاف فى الدين والتقاليد.

- ٢٦٪ اختلافات أساسية.

- ٢٥٪ يعتقدون أن التنازع بين المصالح هو السبب الرئيس فى التوتر بين الإسلام والغرب.

- ٢٩٪ يعتقدون أن الدين والتقاليد هما سبب هذا التوتر.

وأن الغالبية العالمية يرفضون فكرة الكاتب "صموئيل هنتنجتون" الذى يقول بأنه لا مفرّ من حدوث تصادم الحضارات (ويقصد الحضارة الإسلامية والحضارة الغربية) بناءً على الدين والتقاليد.

وفى استراليا أظهر الاستفتاء أن: ٦٨٪ من الأسترال يلومون الأقلية المتشددة من الجانبين الإسلامى والغربى فى خلق هذا النزاع.. وأن واحداً من كل عشرة استراليين يلومون المسلمين المتشددين فى هذه القضية.. وأن اثنين من كل ثلاثة استراليين يتفهمون أنه يوجد أشخاص من كلا الجانبين، الغربى والإسلامى على السواء يحبون خلق هذا النزاع.. ومن كل الذين اشتركوا فى هذا الاستفتاء أكثر من نصفهم، وبالتحديد ٥٦٪ يعتقدون أنه يوجد أرضية مشتركة للتعايش بين الحضارتين، ٢٨٪ فقط يعتقدون أنه ستحدث مواجهة بين الغرب والمسلمين.. وأنه بالرغم من أحداث سبتمبر ٢٠٠١ وغزو العراق ومحاولة السياسيين الغربيين والإعلام الغربى فى إظهار وجود صدام بين الغرب والإسلام، فإن معظم الأشخاص فى الاستفتاء ما زالوا متفائلين.

ويمضى بنا المؤلف للحديث عن مصادر تكوين التصورات والرؤية، موضحا أن العامل الحاسم الذى له دور كبير فى توجيه السلوك نحو الحوار أو الصراع فى الأفراد والأمم، وحتى فى الحضارات، إنما هو المكون الثقافى والذى هو الناتج الطبيعى والثمرة المُرّة أو الحلوة للمكون العقدى. مؤكدا أن علماء التربية وعلماء النفس وعلماء

الاجتماع يقررون بأن رؤية الإنسان لذاته ودوره ورسالته، ورؤيته للبيئة المحيطة، وكذلك رؤيته للكون والحياة، تتشكل من خلال مصدرين اثنين، هما: العقيدة التى يعتقدها الإنسان ويدين بها، والثقافة التى تربى عليها، وتكوَّن عقلُه ووجدانُه من خلالها.

مشيرا أن القيمة عندما تستمد قداستها من العمق الدينى، فإن حرية ممارستها تنبعث من أقوى المشاعر تأثيراً فى حياة الإنسان، وبذلك يكون المكون المعرفى الصحيح – لا نقيضه – هو النبع للشعور بالالتزام الأخلاقى، أى بالواجب تجاه الجماعة والأمة والتضحية فى سبيلها. كما أنه من المعروف أيضًا أن أقوى أنواع الضبط للسلوك الإنسانى هو الضبط الإرادى، وهذا الضبط لا يمكن أن ينتج إلا من الأخلاق التى ترتبط بقيم يدعمها الإيمان الجامع بها، وهى أخلاق لا تتبدل حسب الطلب، وإنما تبقى ثابتة؛ لأنها هى التى تحفظ للجماعة الحد الأدنى من التوازن، كما أنها تمد المجتمع بالقواعد التى تضبط سلوك الناس وتوجه ممارساتهم.

ويمضى المؤلف للحديث فى الفصل الثانى الذى جاء تحت عنوان: المكون المعرفى وأثره على العلاقة بين الإنسان والكون، موضحا أننا حين نتحدث عن المكون المعرفى يجدر بنا أن نبحث فى اللغة باعتبارها الوعاء الذى يتشكل من خلاله وجدان الأمة وفكرها ورؤيتها، قائلا: إن لصاحب كتاب الفروق فى اللغة بيان فى الأمر جدير بالتدوين والنظر، فهو يقول: "المعارف الضرورية على أربعة أوجه :أحدها ما يحدث عند المشاهدة، والثانى عند التجربة، والثالث عند الأخبار المتواترة ،والرابع أوائل العقل". فالمكون المعرفى إذًا هو محصلة لمجموعة من المعارف والخبرات الضرورية التى تبدأ بالمشاهدة، ثم التجربة، ثم الأخبار المتواترة، وكل هذه المعارف والخبرات يستقبلها العقل ويحللها فى نهاية الأمر ثم يكون من خلالها رؤيته وتصوره وحكمه على الموضوع المطروح للبحث، لكن أخطر ما يؤثر فى العقل ويحرك وجهته هو ما يستقبله من مصادر العقيدة – بصرف النظر عن الصحة والفساد – ومن ثم فحين نتحدث عن

المكون المعرفى وعلاقتة بتوجيه الحضارات ، تبرز أمامنا مستويات متعددة من العلاقات ، بعضها ينبع من تصور ذاتى فرضه الواقع الذى عاشه الإنسان الأول ، وبعضها أثر لتراكمات تاريخية تمتزج فيها الحقيقة بالخرافة والأسطورة بالرمز ، لكن أوضح هذه المستويات على الإطلاق ما كان نابعًا من فلسفة وأيديولوجية ودين. مؤكدا أن المكون المعرفى هو انعكاس للمكون العقدى ، وعلى ضوئه يتشكل عقل الإنسان ورؤيته ، ويتشكل وجدانه العام وفق هذه الأيديولوجية . .

وينبه الكاتب عن خطيئة الأيديولوجية الرأسمالية بإهمال المكون المعرفى لديهم ، للجانب الروحى والغيبى الذى لا يقل إهماله فداحة وخطورة فى آثاره عن الماركسية حين جحدت الألوهية وتنكرت لآثار الإيمان بها فى صلاح الفرد والمجتمع والأمة ، كما أن الرأسمالية لم تنفك يوما عن أطماعها الواضحة حينا والمستترة حينا آخر ، وكثيرا ما سمع العالم عن شعارات براقة ظاهرها الرحمة وباطنها العذاب . . وكعادتها فى اختراع المصطلحات وتسويق المفاهيم ابتكرت مفهوما جديدا يوسع دوائر الخضوع والسيطرة وبدلا من أن تكون السيطرة لجهة واحدة معروفة ومحددة ويمكن التعامل معها إما بالبعد أو المقاومة نشأ مفهوم آخر يشترك فيه كل الأقوياء فى النهب والسيطرة ، ويشترك فيه أيضا كل الضعفاء فى الخضوع والهوان والفقر ومن ثم كان الشمال والجنوب ، والدول المتقدمة والدول النامية ، والاتحاد الأوروبى فى مقابل التمزق والكيانات الصغيرة ، والدول الصناعية المانحة والدول الأخرى النائحة وهكذا وضمن هذا كله بدأت الشركات العملاقة فى شراكة متعددة الجنسيات ليكون الاختراق أقوى والمقاومة أقل ، وتمت عملية فرض الشروط والاستجابة من أغلب الدول لتلبية مطالب السادة الكبار ، وهكذا تفقد الدول استقلالها وسيطرتها ، ويتحول دورها إلى مجرد حامل للبريد الذى يأتى من الخارج ، ربما ليس من حقه أن يفتح الرسالة القادمة إلا بعد استئذان المرسل إليه فى الداخل ، وهى الشركات المتعددة الجنسيات والمؤسسات التابعة

لها ، أو فى أحسن الأحوال تأخذ دور المنسق بين مطالب السادة الجدد فى الداخل ومظاهر أبهة الدولة ذرا للرماد فى عيون الحاسدين . وهكذا يظهر أثر ودور المكون المعرفى فى الفلسفة الرأسمالية فى توجيه حضارات الغرب نحو إخضاع الآخر والسيطرة عليه واختراقه تحت تهديد السلاح ، وكأن العالم لا يعيش حضارة عصر إنسانى وإنما يعيش حالة أشبه ما تكون بالقرصنة والسطو المسلح ، ومن ثم يظهر الوجه الحقيقى لمظاهر النهضة فى تلك الحضارة وهو وجه لا يستطيع أن يختفى بعيدا وراء كل الأقنعة التى تدارى البثور وتخفى تحتها أنواع شتى من العلل والسخافات ، ومن ثم فأسطورة النهضة الأوروبية التى تخفى وراءها زوال صفة الإنسانية أدت فى الواقع إلى سيطرة السوق وتفرده وإلى تقديس المال وانقسام العالم عن طريق النهب الاستعمارى والاستقطاب المتزايد حتى فى أوروبا إلى قسمين : من يملك ، ومن لا يملك .

وإذا كانت الرأسمالية فى مكونها المعرفى - السالف - ترتكب من الخطايا ما تسود به وجه الحضارة ، فإنها لم تتوقف عند التنكر لأثار الإيمان وإهمال البعد الغيبى فى حياة الإنسان فقط ، وإنما بدأت تجتر روح العداء القديم ، وتحيى أسبابه من جديد ، فبعد سقوط الشيوعية وذهاب ريح القطب الماركسى راحت أوروبا عمومًا ، والولايات المتحدة بشكل خاص ، تبحث عن عدو بديل حتى لا ترتخى إرادتها وتفتر همتها وتذوب إرادة التحدى فى كينونة وقلب استراتيجيتها ، ولم يكن بين العقائد والثقافات وحتى الحضارات من بقى مستعصيًا على الذوبان والفناء غير الإسلام ، فهو المتفرد فى الجنوب بالبقاء رغم كل محاولات العدوان عليه .

وينتقل بنا الكاتب بالحديث عن دور الآلة الإعلامية فى الخداع وتأجيج الصراع ، مشيرا إلى أن الآلة الإعلامية عملت عملها فى تهيئة المناخ وتجهيز النفوس وشحن الرأى العام بطاقة من الغضب تجعله يؤمن بضرورة التخلص من هؤلاء الأشرار البرابرة الذين يسمّون بالمسلمين ويعتقدون فى إله الخراب الذى يعبدونه . . ! ! وعندئذ يكون للانتقام

ما يبرره، ويصبح سحق هؤلاء ضرورة لحماية السلام العالمي يفرضها مجلس الأمن، ويقوم على تنفيذها بأيد طليقة وعدالة مطلقة البطلُ الواحدُ والوحيدُ، وبذلك يتخلص الغرب من المنافس الاقتصادى والبديل الحضارى، وينتهى من هذا العدو الأزلى؛ لتخلو له الساحة مرة أخرى، بعدما خلت من قبل بسقوط الشيوعية، ويتمكن من بسط نفوذه وسيطرته على كل منابع الثروة بغير منازع، وفى نفس الوقت يكون النموذج العراقى جاهزًا للتطبيق فى أى وقت وفى أى مكان.. مؤكدا أنه قد اعترف بذلك صراحة قادة الفكر وقادة الجيوش العسكرية، "فإدوارد مورتيمر" يعترف قائلا: "إن الإسلام مقاوم للعلمنة، وسيطرته على المؤمنين به أقوى الآن مما كانت قبل مائة سنة مضت، ولذلك فهو - من بين الثقافات الموجودة فى الجنوب - الهدف المباشر للحملة الغربية الجديدة، ليس لسبب سوى أنه الثقافة الوحيدة القادرة على توجيه تحدٍ فعلى وحقيقى لمجتمعات يسودها فتور الهمّة واللا مبالاة، وهى آفات من شأنها أن تؤدى إلى هلاك تلك المجتمعات ماديًا، فضلاً عن هلاكها المعنوى". وكانت تصريحات "ويلى كلايس" الأمين العام لحلف الأطلنطى فى منتصف تسعينات القرن العشرين دليلا آخر على العداء القديم وسوء النية، حيث أعلن أن الإسلام هو العدو الذى حلَّ محل إمبراطورية الشر الشيوعية" ومن ثم كان الانتشار الواسع لمصطلحى "حوار الحضارات" أو "صراع الحضارات" ومن ثم فهذه هى المكونات العقدية التى حكمت وتحكم الحضارة الغربية بشقيها الماركسى والليبرالى.

ثم يتحدث المؤلف عن الحضارة الإسلامية والحاضر الغائب، مشيرا إلى أنه على الرغم من التحديات التى تواجهها داخليا وخارجيا إلا أنها لا زالت تعيش وتقاوم، تتقلص حينًا لدرجة أنك تظن أنها ماتت أو كادت تموت، ولكنها لا تلبث أن تنتفض.. تتآمر الدنيا عليها بعد أن أدبرت عنها، ولكنها أيضا تفاجئ الدنيا بقيمها التى تصحح الأخطاء وترتفع بالإنسان والدنيا لتذكر كليهما بما يجب أن يكون عليه الإنسان

والدنيا، مؤكدا أن السر فى حيوية هذه الحضارة وتجددها يكمن فى المكون المعرفى الذى استبقاها وسط العواصف شامخة وإن انصرف الناس عن أهلها وتنكرت لهم سبل الحياة.

ثم يتحدث عن المكون المعرفى ودوره فى البناء الحضارى: مشيرا أن القرآن الكريم يوجهنا إلى استثمار الطاقات والقدرات بالتفكر والتعقل والتذكر: وهى معالم ثلاثة تشكل الأساس السليم لكل بنية حضارية علمية، لا يجوز نسيانها أو التغافل عنها، خاصة عند الحديث عن الخروج من دائرة العجز والتخلف والتبعية، والأمل فى بعث حضارى إنسانى، يسهم فيه القلب والعقل بطهارة الروح من العبودية لغير الله، وطهارة الفكر من خرافة الإلحاد والشرك، وشتى أنواع الوثنيات السياسية والفكرية والاقتصادية التى تستخدم منجزات العلم فى تدمير الحياة والمجتمعات، بسطاً للنفوذ، ومداً للسيطرة والاحتكارات إلى عباده الله، مشيرا أن المنهج الإسلامى منهج يوظف عنصر الزمن ممثلا فى العمر، ويوظف طاقة التغيير والقدرة على العطاء والبذل ممثلة فى الشباب، ويوظف عنصر المادة ممثلاً فى المال من حيث الاكتساب والإنفاق، ويوظف الطاقات العقلية والفكرية لخدمة المجتمع وترقية الحياة ممثلة فى العلم...فأى حماية للحياة أرقى وأعز من هذه الحماية؟ وأى ضمان لطهارة السلوك أشرف من هذه الدعوة؟ وأى أمان لتوظيف القدرات والملكات ونظافة النوايا من الداخل أقدس من هذا الضبط الإرادى والذى تمتد المسؤولية فيه بالسؤال عن ذلك كله حتى يوم الحساب.

ثم يتحدث المؤلف عن ضوابط العلاقة بين الإنسان والكون مضبوطة بمجموعة من الأطر، فى مقدمتها تحقيق السلام للإنسان والكون معًا كغاية من غايات الوجود الإنسانى والكونى، من خلال التعامل من منطلق الإحسان، والكف عن فعل الفساد، والتعرف على سنن الله تعالىٰ فى الكون ومعرفة القوانين التى تحكم حركة المجتمعات، وضرورة الخروج من التخلف كشرط للإقلاع الحضارى، ذلك أن المسلم الحق يرى فى



obeikandi.com

الزهرة جمالاً ينبغى ألا يدمر ، ويرى فى العدل جمالاً ينبغى ألا يغيب ، ويرى فى الحرية جمالاً ينبغى ألا يصادر ، ويرى فى الكرامة جمالاً ينبغى ألا يسلب ، ويرى فى المساواة جمالاً ينبغى ألا يعكر ، ويرى فى الأخوة جمالاً ينبغى ألا يزول ، ويرى فى الشرف جمالاً ينبغى ألا يستباح ، ويرى فى الطهر والاستقامة جمالاً ينبغى ألا يلوث ، ويرى فى العمل الجاد جمالاً ينبغى ألا يبدد ، ويرى فى الإبداع البشرى جمالاً ينبغى ألا يهمل ، ويرى فى الحق جمالاً ينبغى ألا يخترق ، ويرى فى إعمار الكون وترقية الحياة جمالاً ينبغى ألا يهمل ، ويرى فى الإنجاز العملى جمالاً ينبغى ألا يحقر ، ويرى فى المروءة جمالاً ينبغى ألا ينسى ، ويرى فى إخلاص العمل جمالاً ينبغى ألا يضيع ، ويرى فى الإنسانية جمالاً ينبغى ألا يذل ، ويرى فى أمن الناس وحمايتهم جمالاً ينبغى ألا يفزع . .

ثم تحدث عن نتائج وآثار علاقة المسلم بالكون وفق ضوابط المكون المعرفى فى حضارتنا ، وأجملها فى الالتزام الأخلاقى تجاه الإنسان ، وحدوث التحولات الحضارية وعودة الحياة إلى موازين الاستقامة والاعتدال ، وتحقيق التوافق والانسجام فى المنظومة الكونية . .

وفى الفصل الثالث من الكتاب يتحدث المؤلف عن الآخر من هو ؟ وما موقفنا منه . ؟ مشيرا أن بعض المؤسسات فى الغرب ومعها جماعات معينة يعرفها الباحثون والمتابعون لحركة الصراع يصبون جام غضبهم على الإسلام باعتباره فى نظرهم المصدر الأساس لثقافة العنف والتطرف لدى المسلمين ، ويوصف هذا الدين بأنه لا يعترف بالآخر ولا يقبل بوجوده فى الحياة ، وتشيع آلة الإعلام بوسائلها المختلفة باستخدام ملغوم لتكنولوجيا الإديتنج Editing بالصوت والصورة المختزنة التى تستدعى عند الضرورة ولو بعد عشرات السنين لتوظف فى خدمة الحدث الجديد ، ولتعطى الإيحاء المطلوب ترسيخه فى عقلية المشاهد ونفسيته ، ومن ثم فالإسلام محل هجوم مستمر من

قبل الغرب دوما ، وفى كل مناسبة وأحيانا بغير مناسبة .. حتى تولد لدى القوم ما يسمى بالإسلام فوبيا Islamophobia أى مرض الخوف من الإسلام.

ويوضح المؤلف أن الآخر فى المدلول المعرفى لدينا ليس فقط هو المخالف لنا فى العقيدة والدين، أو فى الجنس أو الموطن، وإنما الآخر هو من يفعل الشر ولو كان مسلمًا، ويؤكد على أن قضية الصراع بالنسبة لنا نحن المسلمين تحديداً قضية كريهة جداً فى كل الظروف والأحوال ؛ لأننا نؤمن أن الله تعالىٰ خلق الأرض للناس .. كل الناس: ﴿ وَالْأَرْضَ وَضَعَهَا لِلْأَنَامِ ﴿١٠﴾ ﴾ «الرحمن»، ونحن أمة لها دور ورسالة، ونشكل من حيث العدد خُمس سكان العالم، ومن ثم فعلى كل منا أن يحسن علاقاته – على الأقل – بأربعة آخرين ليسوا على ديننا . ويطالب الكاتب بضرورة البحث عن القواسم المشتركة وتجنب خطاب التقاطع، من خلال عدة محاور أهمها : محور المصالح المشتركة فى حماية الكوكب الأرضى مما يتهدده من تغييرات مناخية نتيجة اختراق طبقة الأوزون، وهو محور يمكن أن تلتقى على أرضيته كل شعوب الكرة الأرضية. ومن خلال المحور الإنسانى، ذلك أن البشر جميعًا يشتركون معًا فى أصل الشجرة الإنسانية، أى فى المعنى العام للإنسان بغير تحديد للون أو الجنس أو الدين. وكذلك من خلال المحور الدينى وهو مطلق الخضوع والانقياد لله تعالىٰ، وإن اختلفنا بعد ذلك فى الفروع والتفاصيل، وهذا بُعدٌ جديد فى توسيع الدائرة الإيمانية ينفرد به الإسلام ويمتاز، ولقد شكل هذا البعد قفزة نوعية فتحت الأبواب والنوافذ لأفق أوسع وأرحب فى عالم العلاقات الإنسانية، ومن خلال فكرة أن الحضارات تراكمية، فكل حضارة تأخذ من غيرها، تؤثر فيها وتتأثر بها، تأخذ من سابقتها وتعطى لاحقتها . كما أنه على مستوى القيم الفاعلة والمؤثرة فى دفع حركة المجتمع إلى الأمام والضابطة لسلوكيات الأفراد فيه، وهى قيم ثابتة لم يطرأ عليها تغيير أو تبديل، يعتبر شرع من سبقنا شرع لنا ما لم

يرد ناسخ، يقول ربنا تعالى: ﴿ شَرَعَ لَكُم مِّنَ الدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِ نُوحًا وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰ أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ ولا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ ﴿١٣﴾ ﴾ «الشورى»، وهنا تلتقى وتتعانق فى انسجام تام ثوابت القيم فى كل النبوات والرسالات السابقة مع منظومة ثوابت القيم فى منهج الإسلام، فهو مصدق لما بين يديه من الكتب التى لم يطرأ عليها تبديل أو تحريف، ومهيمن عليها أيضًا، أى حارسًا أمينًا عليها.

ويؤكد المؤلف أن المكون المعرفى فى حضارتنا الإسلامية لا يعترف فى تقويم البشر بالطبقيات الممقوتة، ويرفض أن يتميز الإنسان لمجرد أنه من جنس معين، أو أنه يملك المال فقط، فموازينه لا تعتمد لون البشرة أو العصبيات أو الجنس، كما لا تعتمد العرض الفانى فى تقويم الرجال، وإنما تعتمد صلاح النفس ونظافة الضمائر، والإحسان إلى الناس كمعيار فى التقويم، وكأساس فى التمايز، وذلك هو المفهوم من مصطلح (التقوى) فى النص الكريم: ﴿ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ ﴿١٣﴾ ﴾ «الحجرات».

ويحذر الدكتور إبراهيم أبو محمد من أنه فى مقابل هذا التسامح الرحب فى الإسلام تبرز فلسفة العداء والكراهية تجاه الإسلام وأهله وإنكار الآخر الإسلامى، بثقافته وحضارته.. ومحاولات نفيه من الوجود لم تتغير كثيراً بين العصر القديم والعصر الحديث، كل ما هنالك أن الآليات قد تطورت، مؤكدا أنه لم يكن بدعًا ما قرره الإسلام حين جعل الحب شرطًا فى كمال الإيمان وصحته، فقال عليه الصلاة والسلام: «وَالَّذِى نَفْسِى بِيَدِهِ لاَ تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ حَتَّى تُؤْمِنُوا، وَلاَ تُؤْمِنُوا حَتَّى تحابوا، أَلاَ أَدُلُّكُمْ عَلَى أَمْرٍ إِذَا أَنْتُمْ فَعَلْتُمُوهُ تَحَابَبْتُمْ؛ أَفْشُوا السَّلاَمَ بَيْنَكُمْ»، كما قرر أن وسيلة المحبة إنما هى إفشاء السلام، وهذه العبارة تتسع لتشمل أمن الناس فى دمائهم وأموالهم وأعراضهم، بل تتضمن أيضًا سلامة البيئة بكل مفرداتها من كل من تلوث مادى أو معنوى يخرج الأشياء عن طبيعتها ويتسبب فى شيوع الفساد، كما تضمنت شريعة

الإسلام السمحاء كمًّا هائلاً ورائعًا من التشريعات ، هدفها وأساسها وغايتها رعاية الحق وإقامة العدل فى تحديد العلاقة بين أتباع الديانات الأخرى ممن يعيشون فى مجتمع المسلمين ، فالأحقاد الطائفية والحروب الدينية غريبة على البيئة المسلمة ، وقد تعلم المسلمون من أصل دينهم وتوجيهات نبيهم أن يعاملوا غيرهم بيسر وحسن معاشرة ، ورعاية للجوار الذى وجهت إليه سماحة الإسلام فيما شرعته من قوانين وفيما وضعته من تقاليد ، ذلك أن الإسلام فى ميدان الحياة العامة حريص على احترام شخصية المخالف له ، ومن ثم لم يفرض عليه حكمه ، أو يقهره على الخضوع لشرائعه ، ولم يقم بمصادرة حقوقهم أو تحويلهم بالإكراه عن عقائدهم أو المساس بأموالهم وأعراضهم ودمائهم ، ؛ بل ترك أهل الأديان وما يدينون ، فليس من أهداف الإسلام إذًا أن يفرض نفسه على الناس فرضًا حتى يكون هو الديانة العالمية الوحيدة ، فنبى الإسلام هو أول من يعرف أن كل محاولة لفرض ديانة عالمية وحيدة هى محاولة فاشلة ، بل هى مقاومة لسنة الوجود ، ومعاندة لإرادة رب الوجود ، كما أن الإسلام يجعل الاعتقاد الصحيح ثمرة الإرادة الحرة ، وبالتالى فمن لا حرية له فلا تكليف عليه ، وكما أن المكره على فعل عمل ما لا يتحمل نتائجه ؛ لأن إرادته استعبدتها قوة قاهرة ، فكذلك المكرهون بالعنف على الدخول فى دين ما ، فهم لا يعتبرون متدينين به موضوعيًّا ، وإن خضعوا له شكلاً ، كما أن الإسلام لا يكتفى منا بهذا الموقف السلمى السلبى وهو عدم إكراه الناس على الدخول فيه ، بل يكرم الإنسان فى شخص غير المسلم ، حتى ولو كان من الوثنيين الذين يدينون بديانة هى أبعد الديانات عن الإسلام ، فضلا عن الديانات الأخرى التى تربطنا بها أواصر الوحى السماوى ، يقول تعالىٰ فى سورة التوبة : ﴿ وَإِنْ أَحَدٌ مِّنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّىٰ يَسْمَعَ كَلَامَ اللَّهِ ثُمَّ أَبْلِغْهُ مَأْمَنَهُ ﴿٦﴾ ﴾ «التوبة» ، فأنت تراه لا يكتفى منا بأن نجيرهم ونؤويهم ونكفل لهم الأمن فى جوارنا فحسب ، ولا يكتفى منا بأن نرشدهم إلى الحق ونهديهم طريق الخير وكفى ؛ بل يأمرنا بأن نكفل لهم الحماية

والرعاية فى انتقالهم حتى يصلوا إلى المكان الذى يأمنون فيه كل غائلة، ثم هل ترى أعدل وأرحم وأحرص على وحدة الأمة وتماسكها من هذه التعاليم التى لا تكتفى بأن تكفل لغير المسلمين فى بلاد الإسلام حرية عقائدهم، أو عوائدهم، وحماية أشخاصهم وأموالهم وأعراضهم فقط، بل تمنحهم من الحرية والحماية، ومن العدل والرحمة قدر ما تمنحه للمسلمين من الحقوق العامة فيكون (لهم ما لنا وعليهم ما علينا) وفق القاعدة المعروفة .

ويمضى بنا المؤلف للحديث عن عقد الذمة بين الحقيقة والتشويه المتعمد، مؤكدا أن الإسلام قد رفع من قداسة هذا العقد ليجعله عقدا ليس فى ذمة الوالى أو الحاكم فحسب، وإنما جعله فى ذمة الله تعالى، وذمة رسوله ﷺ ؛ ليحظى بأعلى مستوى من التقدير والتوقير والوفاء، لذلك تضافرت النصوص، قرآنًا وسنةً فى توكيد هذا العقد، ثم كانت ممارسات المسلمين فى شتى عصورهم، تطبيقًا حيًا وعمليًا يُجَسِّد حالة الالتزام فى أرقى درجاتها رعاية وعناية، وأعلى تجلياتها كرمًا وتسامحًا. فالله تعالىٰ يأمر فى دينه بالعدل والإحسان، ولا يجرد المسلم من العواطف سلبًا وإيجابًا (عواطف الحب أو الكره) حين يمارس هذا العدل، ولكنه يفرض عليه بذل أقصى الجهد فى تحرى العدالة المطلقة، فلا يجوز له أن يميل مع الهوى أو يحيف مع الشنآن، قال تعالىٰ: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ بِالْقِسْطِ شُهَدَاءَ لِلَّهِ وَلَوْ عَلَىٰ أَنفُسِكُمْ أَوِ الْوَالِدَيْنِ وَالْأَقْرَبِينَ ... (١٣٥) ﴾ «النساء»، يروى أبو داود والبيهقى فى السنن قول الرسول ﷺ : «من ظلم معاهدًا أو انتقصه حقًا أو كلّفه فوق طاقته أو أخذ منه شيئًا بغير طيب نفس منه، فأنا حجيجه يوم القيامة»، وقال عليه الصلاة والسلام: «من آذى ذميا فقد آذانى، ومن أذانى فقد آذى الله». وتوالت النصوص على حماية حرية أهل الذمة الدينية وحرمة معابدهم، وشعائرهم وقد فصلت ذلك وثيقة عمر بن الخطاب التى أعطاها لأهل إيلياء (القدس) حيث جاء فيها: (هذا ما أعطى عبد الله عمر أمير المؤمنين أهل إيلياء من

الأمان: أعطاهم أمانًا لأنفسهم وأموالهم، وكنائسهم وصلبانهم، وسائر ملتها، لا تسكن كنائسهم ولا تهدم، ولا ينتقص منها، ولا من حيزها، ولا من صليبها، ولا من شيء من أموالهم، ولا يكرهون على دينهم، ولا يضار أحد منهم، ولا يسكن بإيلياء معهم أحد من اليهود). وبناءً عليه فيجب على الإمام أو ولى الأمر بما له من سلطة شرعية، وما لديه من قوة عسكرية، أن يوفر لهم سبل هذه الحماية باعتبارها جزءا من واجباته الدينية بموجب عقد الإمامة بينه وبين الأمة، وذكر الإمام القرافي – وهو من أئمة المالكية – فى كتابه الفروق، نقلا عن الإمام ابن حزم الظاهرى فى كتابه مراتب الإجماع ما نصه: "أن من كان فى الذمة، وجاء أهل الحرب إلى بلادنا يقصدونه وجب علينا أن نخرج لقتالهم بالكراع والسلاح، ونموت دون ذلك صونا لمن هو فى ذمة الله تعالى وذمة رسوله صلى الله عليه وسلم، فإن تسليمه دون ذلك إهمال لعقد الذمة" وقد علق الإمام القرافى على هذا الكلام بقوله: "فعقد يؤدى إلى إتلاف النفوس والأموال صونا لمقتضاه عن الضياع لعظيم". فهل عرفت الدنيا أو وعت ذاكرة التاريخ مثل هذا الأفق الرحيب فى التسامح ورعاية الأقليات غير المسلمة فى مجتمع المسلمين؟! موضحا أن هذا هو مصدر المكون المعرفى لدينا وموقفه من الآخر.

ثم يتساءل الكاتب: فماذا عندهم؟ وما الذى يحمله المكون المعرفى لديهم تجاه الآخر؟ موضحا أن الغرب ينطلقون من نظريات حديثة قال بها فلاسفتهم ومفكروهم من أمثال فوكوياما ونظريته عن نهاية التاريخ، وكذلك صموئيل هنتنجتون ونظريته عن صراع الحضارات وينطلقون أيضا من عقيدة، كما يؤكد الكاتب والمفكر الإنجليزى جوليان هاكسلى بقوله " إن الغرب ينطلق فى ثقافته من عقيدة تختلط فيها الحقيقة بالأسطورة، ولا زال الوجدان الأوروبى محكوم بالأسطورة الرومانية القديمة أسطورة بريميسيوس سارق النار المقدسة"، وهى أسطورة تتحدث عن الصراع بين الإله والإنسان والشيطان...

وفى نهاية الكتاب يخلص الكاتب الدكتور أبو محمد إلى مجموعة من النتائج، أهمها : أن الإسلام هو الذى استبقى الحضارة الإسلامية وسط العواصف شامخة وإن انصرف الناس عن أهلها وتنكرت لهم سبل الحياة. وأن البعد المعرفى ينشئ لدى المسلم التزاماً أخلاقيًا تجاه الكون وتجاه البيئة والوجود كله. وأن الحضارات بقدر ما تحمل من قيم العدل والكرامة والمساواة والحرية، بقدر ما تكون مناعتها ومقاومتها لعوامل الفناء. وأن أخطر ما يصيب الحضارة بشيخوخة مبكرة تهددها بالتفتت والزوال، هو سيطرة المطامع وسعار الشهوات حين ينطلق بغير حدود أو قيود، ومن ثم تبدأ عمليات الانحسار والانكسار فى الخط البيانى نحو الهبوط والتدنى، وهذه هى مرحلة الأفول ومن ثم تعقبها مرحلة السقوط، منبها أن شرط الإقلاع الحضارى والخروج من التخلف أن يتعرف المسلم على سنن الله فى الكون، وأن يتعرف على سنن الله فى الخلق، كما يتعرف على الأمر التكليفى. وأن القوانين التى تحكم مسيرة الأحياء والجمادات والأمم والحضارات، لا تنفصل ولا تناقض القوانين التى تحكم الفطرة الإنسانية، وأنه لابد من العمل على محور المصلحة المشتركة فى حماية الكوكب الأرضى مما يتهدده من تغييرات مناخية نتيجة اختراق طبقة الأوزون، وهو محور يمكن أن تلتقى على أرضيته كل شعوب الكرة الأرضية، كما أنه لابد من العمل على المحور الإنسانى الذى يؤكد على أن البشر جميعا يشتركون معا فى أصل الشجرة الإنسانية ، وأن الأديان السماوية الثلاثة تتمتع بوحدة المصدر، وأن الإلهام فيها يكاد يكون واحدا، وأن الغاية منها مطلق الخضوع والانقياد لله تعالى، وأن المكون المعرفى فى الحضارة الإسلامية حريص على تكريم الإنسان فى شخص غير المسلم، واحترام شخصية المخالف له، ورعايته حتى ولو كان مشركا وليس من أهل الكتاب، مؤكدا أن المكون المعرفى فى الحضارة الإسلامية هو سر بقائها وهو سر مقاومتها لكل عوامل الفناء والذوبان، حيث يشكل فى الإسلام اللب والقلب، ذلك أنه يوجه الحضارة صوب الوفاق والتعايش بل والتناغم مع الحضارات الأخرى باعتبارها نتاجا إنسانيا لا يجوز أن تحرم منه المجتمعات..

كما يؤكد المؤلف أن الحضارة الإسلامية بمكوناتها العقدية والثقافية لا تتناقض ولا تتصادم مع الثقافات الأخرى، بل إن التاريخ يثبت أنها احتوت وتضمنت واحتضنت الثقافتين اليهودية والمسيحية، وقد نبغ فى ظل الحضارة الإسلامية عباقرة من شتى البلاد والأجناس، قدمتهم الحضارة الإسلامية للعالم، وعرفت بهم وترجمت أعمالهم، حتى بعد أن مات بعضهم، وكاد تراثه الفلسفى والعلمى أن يضيع فى ذاكرة النسيان، فلما جاءت الثقافة الإسلامية بما تحمله من تسامح وتقدير للمواهب قدمت هؤلاء للعالم برغم اختلاف الجنس واللغة والدين.

ويذكر المؤلف أن أول خطوة نحو صياغة فلسفة لحياة أكثر تفاهما وتسامحا يجب أن تكون فى إعادة اكتشاف كل منّا للآخر، كما أن عملية تبادل المعلومات والخبرات حول الذات والآخر تعنى لا محالة تبدلا مستمرا فى أفكار الاثنين معا، وعندما يكتشف كل منّا أخاه سنكتشف جميعا كم هى واسعة وشاسعة ورائعة حجم الشراكة الحياتية بين الإنسان والإنسان، وكم يمكن أن تكون تلك الشراكة متناسقة ومتوافقة ومنسجمة، وبعيدة أيضا عن الميل المندفع نحو الإخضاع والسيطرة، برغم تنوع واختلاف الثقافات والديانات والأجناس.

ويحذر من خطورة الإعلام غير المنضبط بضوابط القيم والموضوعية، الذى ساهم ولا زال يساهم بنصيب ضخم فى حدوث سوء الفهم، وسوء الظن، مطالبا بضرورة الانفتاح على الآخر، والاقتراب منه، ومعرفة مكوناته ومقوماته ودوافعه وبواعثه، وألا تترك تلك القضايا الكبرى لمؤسسات إعلامية معروفة بتحيزها وكراهيتها للمسلمين تشعل فتنة الصراع بالتحريض وإثارة الكراهية ضد الآخر، كما يحدث مع المسلمين منذ الصباح الباكر وحتى ساعة متأخرة من الليل فى كل يوم، وتلك حقيقة يعانى منها كل مسلم يعيش فى مجتمعات الغرب أيضا، ومن الغريب أن يحدث هذا تحت سمع وبصر كل أجهزة الرقابة، الأمر الذى يوحى بأن هناك اتفاقا ضمنيا على هذا الهجوم،

أو على الأقل فإنه يحظى برضى بعض الشرائح السياسية المتعصبة لأنه يتوافق مع هواهم السياسى ، وإن كان يناقض الصالح العام والمبادئ التى يدعو إليها كل العقلاء، وهى المبادئ التى يقوم عليها ويتميز بها كل مجتمع متحضر يحترم التعددية الثقافية ويعمل من أجل التناغم الاجتماعى والانسجام الحضارى بين الشعوب.، مع الأخذ فى الاعتبار أن الحرص على إثارة الصراع بين الحضارات يمثل علامة من علامات الانتكاس الحضارى، الذى يهدف إلى نفى الآخر، وقولبته تحت القهر والضغط والإكراه، وإنه لمن العار والخداع أن يظهر هذا النوع من العنصرية واغتيال الخصوصيات فى وقت تمتلئ فيه الدنيا بضجيج وهتاف حول الديمقراطية وحقوق الإنسان.

ويختتم المؤلف كتابه بالتأكيد على أن الإرهاب ليس له دين أو وطن أو جنس ، فهو يهدد كل هذه القيم النبيلة، وأنه ليس جديدا، وإنما هو قديم قدم الإنسان ذاته، فمنذ اعتدى قابيل على أخيه هابيل بدأت بذور الشر فى أرض الحياة، ومن ثم فليس من المقبول ولا من المعقول أن يجتهد الخطاب السياسى لبعض الدول، ومعه أيضًا الخطاب الإعلامى فى بعض البلاد، ليحدث ارتباطا شرطيا فى نَفْسِ المتلقى بين المسلم والإرهاب، ويصبح لزاما على كل مسلم فى الصباح والمساء أن يستغفر من ذنب لم يرتكبه، وأن يعتذر عن فعل لم يفعله، وأن يشجب ويستنكر الإرهاب، كى يثبت أنه مسلم معتدل وليس لديه قابلية الإرهاب فى يوم ما.

وهكذا استطاع المؤلف بفكره المتقد وذكائه الكبير أن يشخص لنا العلاقة بين الحضارات وما يجب أن يسود بينها من تعارف وتفاهم وتعاون لخدمة الإنسانية كلها، ومن ثم يعد هذا الكتاب إضافة متميزة للمكتبة العربية والإسلامية بشكل عام، وهو زاد نافع لكل المهتمين والباحثين فى هذه القضايا..